مفهوم الأسرار في الفكر العربي عند النحويين

الباحثة . حوراء عادل عوده تامول
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد
Hawraadil50m@gmail.com
أ.د. حسن منديل حسن العكيلي
كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد
aligeali@uobaghdad.edu.iq

تاريخ النشر :2025/3/31

تاريخ الاستلام: 2024/8/4 **تاريخ القبول: 2024/8/28**

DOI: 10.54721/jrashc.22.1.1323

الملخص :

إن مصطلح الأسرار لم يكن شائعًا عند علماء النحو القدامى إلا نادرًا ، واستعملوا مصطلحات أخرى دالة على الأسرار، نحو: (العلل، العلة، التعليل، السبب، السنن، العجائب، الدقائق، الغرائب، الإعجاز)، وكثيرًا ما يذكر علماء النحو الألفاظ الآتية: (علة ذلك، سبب ذلك، تعليل ذلك). وشاع مصطلح الأسرار عند المعاصرين، فكانوا يقصدون به الأسرار، وأحيانًا يقصدون العلل.

إن مصطلح الأسرار من المصطلحات النادرة التي قليلاً ما نجد العرب يذكرونه في كتبهم ، لكونه لم يكن شائعًا في تلك المرحلة المبكرة، فقد ترسخت أذهاننا بهذا المصطلح لمعرفة مفهومه عند العرب، وكانت قراءتنا له باعثة على الإعجاب به. وكان من شأن هذا كله أن يولد فينا الحافز للكتابة فيه والكشف عن فضائله ومزايا لا سيما أنه- على وفرة إنتاجه ودقته- لم يحظَ بما حظيَ غيره من المصطلحات من عناية واهتمام.

ولا بد إن نشير إلى أن من مهمات البحث بيان مفهوم مصطلح الأسرار في الفكر العربي عند النحويين وشموله لأفكار ومجالات جديدة لم يكن أحد قد تناولها بالدراسة.

واتضح أن مفهوم هذا المصطلح عند القدامى كان يتداخل مع مصطلح العلل والتعليلات، فكثيرًا ما يذكرون لفظ العلل والتعليلات ويقصدون به الأسرار، نحو: كتاب(الكتاب) لسيبويه وكتاب (أسرار العربية) لأبي بركات الأنباري الذي سمّاه بالأسرار على الرغم من تناوله العلل والتعليل كثيرًا، وهناك كتب كثيرة قصدت بالعلل مصطلح الأسرار نفسه.

الكلمات المفتاحية : مفهوم الأسرار ، الفكر العربي ، النحويين .

The concept of secrets in Arabic thought by grammarians

Researcher. Howrah Adel Ouda Tamul
College of education for girls/ University of Baghdad
Prof. Dr. Hassan mandeel Hassan al-Akili
College of education for girls/ University of Baghdad

Abstract:

The term secrets was not common among ancient grammarians except rarely, and they used other terms that denote secrets, such as: (causes, reason, explanation, cause, traditions, wonders, subtleties, oddities, miracle), and grammarians often mention the following words: (the reason for that, the reason for that, explanation for that). The term secrets became common

among contemporaries, and they meant secrets by it, and sometimes they meant causes.
The term secrets is one of the rare terms that we rarely find Arabs mentioning in their books, because it was not common in that early stage, so this term has become entrenched in our minds to know its concept among Arabs, and our reading of it was a cause for admiration for it. All of this was likely to generate in us the motivation to write about it and reveal its virtues and advantages, especially since - despite its abundance and accuracy - it did not receive the attention and interest that other terms received.
the It must be noted that one of the tasks of the research is to clarify concept of the term secrets in Arabic thought among grammarians and its inclusion of new ideas and fields that no one had studied. It became clear that the concept of this term among the ancients overlapped with the term y often mentioned the word causes and causes and explanations, as the explanations and meant secrets, such as: the book (the book) by Sibawayh Anbari, which he called -and the book (Secrets of Arabic) by Abu Barakat al nd there secrets despite its extensive discussion of causes and explanations, a are many books that meant by causes the term secrets itself
Keywords: The concept of secrets, Arabic thought, grammarians.

المقدمة:.

إنّ الأسرار من المصطلحات، التي قلّما نجد علماء النحو القدماء يذكرونه في مضامين كتبهم، لكونه لم يعد شائعًا في تلك المرحلة المبكرة، وقد ترسّخ في أذهاننا هذا المصطلح لمعرفة مفهومه عند العرب، وكانت قراءتنا له باعثة على الإعجاب به.

وهذا البحث بيّن مفهوم الأسرار في الفكر النحوي عند النحويين، وبين مفهوم ومقصد علماء النحو ومعرفتهم لمصطلح (الأسرار) لكون أكثر الدراسات والكتب النحوية عدّت العلل والتعليلات أسرارًا، ولا سيما القدماء، فأرادت الباحثة أن توضح مصطلح (الأسرار) بعد ما كان غير واضح لدى الدارس والباحث، واختلف مفهومه عند علماء العرب ولا سيما النحويين الذين يطلقون على العلل أسرارًا.

والعربية تختلف عن سائر اللغات بخصائصها المميزة وأسرارها، فمنها:

مواكبتها العصور.

لا تزال مستعملة ولم يحدث فيها أي تغير مهم في أصولها.

لم تتعرض للانقراض.

فيها أسرار ومعانٍ غير ظاهرة.

إذ لم يسمّوها عجائب أو سننًا وطرائق العرب، أو أحاجي وألغازًا، أو إعجازًا، تميزًا للقرآن الكريم. واللغة العربية هي اللغة الاشتقاقية القابلة للتطور في ذاتها ولا تتعرض للهرم. وقد اشتق السّرّ من السرور؛ لأنّ الاطلاع على الأمر المخفي وكشفه يبعث السرور .

مدخل:

تعريف السّرّ لغةً:

السّرّ لغةً: إخفاء الشيء، فالسّرّ: خلاف الإعلان. يُقال: (أسْرَرت الشيءَ إسرارًا)، خلاف أعلنته، ويُقال: (صدور الأحرار قبور الأسرار)، أي: خفاؤها.

والسراء: النعمة، والرخاء وهو نقيض الضراء والشدة. والسّرّ والسّراء والسّرور والمَسّرة، كلها بمعنى (الابتهاج).

ويُقال: فلان سْرَير إذا كَان يَسُرُّ أبناءه، والسّرّ ما أَسْرَرْتَ، والسَّرَيرة عمل السّرّ من خَير أو شَرّ، ويُقال: سْرَيرتُهُ خيرٌ من عَلانيته، وأسْرَرْتُ الشيءَ: أظهَرْتُه، وأسْرَرْتُه: كَتَمْتُه، والسّرّ والسَّرارُ، والجميع الأسرارُ: وأسْاريرُ جمع الجمع، وجمع السّرار أسْرَار وأسرّة،وعدد السَّرير أسرَّةٌ، وجمعه سُرُر والسّرارُ: مصدر سارَرْتُه من السّرّ وجمع السّرّ أسْرَار، والسّرير: مستقر العيش الذي ترتاح فيه، وسّرير الرأس: مستقره على محرك عنقه.[1]

السّرّ: الذي يُكتم، والجمع: الأسّرار والسّريرة مثله، والجمع: السّرائر. [2]

تعريف السّرّ اصطلاحًا:

إنّ الأسرار هي المستغلق والمكتوم من المسائل الغامضة والخفية في النحو، والأسرار: هي العلل النحوية عند أغلب النحويين القدماء، فنجد الأسرار عند الأعلم الشنتمري تعني المخفي من النحو وحقائقه والمتشابه والمتباين فيه، ذلك صريح كلامه في كتابه (نتائج الفكر في النحو): "نريد ... أن نخترع كتابًا في كشف غوامض النحو، وتجلية وجوه حقائقه، وإذاعة مطوي سرائره، وتبيين مضارعه من متباينه وتمييز مماثله من متضاده، ونضع ذلك على غير رتبة الكتب الموضوعة في هذه الصناعة؛ لأن غرضه ليس من أغراضها ... وهذا الكتاب يشتمل كل مقالة منها على فصول في الاسم والفعل وحرف المعنى"[3]ويشتغل مصطلح (أسرار العربية) عند الأنباري في دائرة الخلاف النحوي بين النحويين والدليل قوله: (ذكرت في هذا الكتاب الموسوم بأسرار العربية كثيرًا من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصحّحت ما ذهبت إليه منها بما يحصل به شفاء الغليل)، ويقصد المؤلف بالأسرار: العلل النحوية والأسباب الكامنة وراء الموضوعات والمسائل والظواهر النحوية.[4]

ومعنى الأسرار في الاصطلاح نحصل عليه من الكتب النحوية التي ذكرت هذا المفهوم، والكتب كثيرة في ذلك نذكرها فيما بعد، ويتبين من كلام السهيلي: إن الأسرار ليست العلل النحوية؛ لأن السرّ: الخفاء (المستغلق من الكلام) والتعليل هو كشفه، والعطف (أسرارها وتعليلها) يدل على الفرق بينهما.

ناهيك عن اختلاف المعنى اللغوي الذي يرتبط بالمعنى الاصطلاحي في الغالب، فإن دلالة العلة على الضعف والمرض، أما السّرّ فلا يدلّ على ذلك.[5]

نخلص من ذلك:

إنّ الأسرار: اصطلاحًا عامًا فقد ارتبط بالذائقة أكثر من التنظير في الفكر النحوي، أو ارتبط بالجانب الفني لتفسير الظواهر اللغوية.

فضلًا عن أنّ اختيار اصطلاح السّرّ والأسرار يُوحي بالخفاء الذي يؤدي اكتشافه إلى السرور لذلك اشتقوا المصطلح منه.

مفهوم الأسرار في الفكر العربي عند النحويين:

بعد أن وجد الدارسون الأوائل أن النحو العربي يسير على منهج علمي ومعرفي،اذ يؤكد القدرات العقلية وراء تأسيس نظرية علمية نحوية، واستوعبوا التعليل في كل مستويات الكلام، فعللوا ما نطق به العرب، وبيّنوا أسرار الحكمة الكامنة في إيثار العرب لبعض الحركات والحروف.[6]

كذلك أن مصطلح (الأسرار) لم يكن شائعًا في تلك المرحلة المبكرة، ولكننا لا ننكر وجود الأسرار ،ولا ننكر معرفة العرب للأسرار.

فقد وجدت العلة سبيلها في النحو العربي منذ عهد مبكر، وهذا يعد بداية مبدأ التعليل عند النحاة[7]؛ لأن التعليل قاعدة النحو وأساسه، ويدل على أسرار العربية وسحر بيانها، وأحكام نسجها، وبالتعليل نتمكن من البرهنة على خصائص وسنن العرب في نسج كلامها.[8]ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي في طليعة العلماء الذين استنبطوا القواعد والأحكام اللغوية وأسندوها بالعلل.[9]

وقد شكّلت التراكيب النحوية خصوصية لغوية عند بعض الدارسين؛ لأنها تميز خصوصية اللغات وفكرها، لذا عدّت بنظر بعضهم من أهم عناصر اللغة.

فالنظام النحوي مرتبط بالفكر والذوق ارتباطًا مباشرًا، وقد تختفي بعض المفردات أو تتغير دلالتها، فلا تؤثر في البنية اللغوية كما في النظام النحوي. فلا يمكن أن تستعار من لغة أجنبية صيغة نحوية مفردة وإنما يستعار عادة النظام النحوي كله.[10]

ويبدو أن أكثر النحويين الذين يسّروا النحو وحاولوا تجديده لا يميلون إلى التعليل أو القول بوجود العلة والسبب، مما يجعلهم يرون الظاهر فحسب، وهو ما سمّوه بالوصف والملاحظة ومن ثَم يفقدون أسرار اللغة العربية، ولكنهم مهما حاولوا أن يبتعدوا عن العلة فنراهم يرجعون إلى طريق واحد هو السبب؛ لأنه أصل معرفة كل شيء ليس في قواعد النحو وحسب، وإنما في جميع جوانب الحياة نحتاج إلى كشف العلة ومعرفة السبب والمسبب؛ كي يتضح ويتبيّن الأمر بدقة، فالنحويون المجددون للنحو يرون أن العلل والأسباب تجعل النحو جامدًا، وتُهلك القارئ والباحث، ويعدّون العلل والتعليلات مرهقة تطفح بها المراجع النحوية، ويرى الأستاذ الدكتور حسن منديل أن هذا ليس غريباً؛ لأن جميع أصحاب التيسير لم يستطيعوا أن يقدموا نحوًاجديدًا يخالف نحو القدامى، ولا يقوم على العلل والتعليلات ولا يحوي كثيرًا مما أخذوه على النحو العربي.[11]

وأنا لا أرى الوصف كافيًا في معرفة القواعد؛ لأنه لا يوجد شيء لا سبب له وإلا كيف جاء؟ والاقتصار على وصفها وملاحظتها دليل عدم فهمها وتفسيرها، ألم ترَ

كيف فهمنا قواعد النحو لولا تفسيرنا ومعرفتنا سبب المرفوع والمنصوب والمجرور، ولمَ سُمّي المضاف مضافًا والمضاف إليه مضافًا إليه؟ وكيف عربنا الفاعل فاعلًا والمفعول مفعولًا، إن لم نعرف من قام بالفعل ومن وقع عليه الفعل؟ وكيف تكونت المفاعيل بأنواعها: (المفعول به، المفعول فيه، المفعول معه، المفعول المطلق)؟ ولمَ بُنيّ الفعلي الماضي والأمر وأُعرب المضارع؟ ولماذا جعلنا قسم للمرفوعات، وقسم للمنصوبات، وقسم للمجرورات، وقسم للمشتقات، وغيرها.ويعود هذا إلى وجود سبب أو سرّ لا بد من بيانه، وعلى الرغم من أن الميسّرين رفضوا ذلك، إلا أنهم قد عادوا الكرّة في الرجوع إلى التعليل.

ليست غاية النحو معرفة الصواب والخطأ في الإعراب فحسب، وعند البحث في كتاب سيبويه بوصفه أول أثر نحوي يمثل جهود المرحلة الأولى، ويعد نضج الفهم النحوي الراشد الذي يُعنى بتمييز التراكيب وكشف خصائصها.[12]

ومن طبيعة الإنسان أن يسأل عن السبب، ويستقصي العقل أن يتتبع الجزئيات ،ويجمع ما تشابه منها؛ ليطلق عليها حكمًا عامًا فيصل بالظاهرة إلى القاعدة العلمية، لذلك ليس غريبًا أن يكون السؤال عن العلة قديمًا، وأن يكون التعليل مرافقاً للحكم النحوي منذ وجد، فغرض التعليل هو أن يظهر خضوع الظواهر لقواعد العلم وأحكامه.[13]فعللوا لما نطق به العرب، وبيّنوا أسرار الحكمة لبعض الحركات والحروف في مواضع كلامهم.[14]

وقد أعجبوا بهذا الكشف إعجابًا عظيمًا فألحوا في تتبع الأواخر، والكشف عن أسرار تبديلها؛ وسموا ما كشفوا أول الأمر– علل الإعراب– أو علل النحو،[15]ودونوا للعامل شروطًا وأحكامًا هي عندهم فلسفة النحو، وسرّ العربية، فكل علامة من علامات الإعراب هي أثر لعامل ظاهر أو مقدر.[16]

ولما أصابت العربية حظًا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سرّ جمالها.[17]وقد ذكرنا أن المجددين للنحو لا يعللون، بل يعتمدون الوصف الظاهر ولا يجدون حاجة إلى التعليل، لكنهم على الرغم من ذلك يأخذون بأقوال النحويين في العلل وتوضيح السبب، فنرى إبراهيم مصطفى من النحويين المجددين للنحو في كتابه (إحياء النحو) يشير إلى علل النحو ويذكرها، قائلًا: "اسم إن منصوب، وما نجده من أثر الرفع فيه؛ إذ يجيء أحيانًا مرفوعًا ثم يعطف عليه ويؤكد بالرفع أيضًا؛ وذلك أنهم لما أكثروا من إتباع إن بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه بها، وكثر هذا حتى غلب على وهمهم أن الموضع للنصب، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضًا. وهذا موضع دقيق في العربية ولكنه صحيح مطرد عند الاختبار، أثبته النحويون وسموه الإعراب على التوهم".[18]

ولعل (سيبويه) من الأسماء التي شاع ذكرها في مجال التعليل، وقد كشف عن ذلك بوضوح في كتابه، وكانت العلل التي أخذها أكثرها من الخليل منثورة في كتابه، فكان يناظر بين كلام العرب، أي: لا يجعل القواعد جميعها تشترك في الحكم، وإنما جعل

لكل قاعدة حكمًا، ثم يبدأ يقيس ويعلل. فكان التعليل في كتاب سيبويه أداة للربط بين نظامي: نظام اللغة بتصورها المتباينة، ونظام النحو بتصوراته وأحكامه.[19]

وعند تتبعنا اصطلاح (الأسرار) في التفكير النحوي عند النحويين العرب نجد أن مفهوم هذا الاصطلاح أكثر اتضاحًا لدى نحويي القرن الرابع الهجري ،وزاد وضوحًا وانتشارًا لدى المتأخرين ،أما لدى المتقدمين فكان مرتبطًا بمفهوم العلة والتعليل.

مفهوم الأسرار عند النحويين

مفهوم الأسرار عند سيبويه في كتابه (الكتاب) (ت 180هـ):

بعد أن اطلعت على كتاب سيبويه، وبحثت عن لفظ (سرّ) ومرادفاتها فيه وجدت اللفظ من غير أن أجد مفهومه عند سيبويه، أما لفظ (علل) فقد جاءت بمفهوم الحكمة ،والسبب وراء كل قاعدة نحوية.

قال تعالى: **"أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ"** [البقرة: 282]،فانتصب؛ لأنه أمر بالإشهاد لأن تنكر إحداهما الأخرى ومن أجل أن تنكر. فإن قال أحد: كيف جاز أن تقول: (إن تضل) ولم يعد هذا بالضلال والالتباس؟ وجواب ذلك: إنما ذكر أن تضل؛ لأنه سبب الإنكار، مثلما توعد أخاك فتقول: أعددته أن يميل الحائط فأدعمه، وهو لا يطلب بإعداد ميلان الحائط، ولكنه أخبر بعلة الدعم.[20]

واعلم أن كلّ اسم آخره ياء تلي حرفًا مكسورًا فلحقته الواو والنون في الرفع والياء والنون في النصب والجر للجمع، حذفت منه الياء التي هي آخره، ولا تحركها لوجود العلة، ويصير الحرف الذي كان تليه مضمومًا مع الواو؛ لأنه حرف الرفع فلا بد منه ولا تكسر الحرف مع هذه الواو، ويكون مكسورًا مع الياء، وذلك قولك: (قاضون وقاضين) وأمثاله.[21]

جاء في كتابه: قالوا: سرير وأسرة وسرر كما قالوا: قليب وأقلبة وقلب،[22]وقالوا: سرات وسرر وجدة وجددت وجدات ولا يحركون العين؛ لأنها كانت مدغمة[23] ومنه قولك في فعل: درر، وشدد، وظلل، وقلل، وسرر، وسنن.[24]

هذا ما وجدته في كتاب سيبويه في أجزائه الأربعة ،ورأيت لفظ (السرّ) ولفظ (سنن) قد ذكرها سيبويه كمصطلح ولم يذكرها دلالة على سرّ العربية وقواعدها وإنما أمثلة ذُكرت فحسب، ولكن هذا لا يعني أن سيبويه لم يكن يعرف أسرار العربية ولم يعد الأسباب هي سرّ العربية بل العكس فقد وجدته تحدث كثيرًا عن العلة والعلل والسبب في كتابه، فعندما يذكر القاعدة يذكر العلة والسبب في رفع الفاعل ونصب المفعول وغيرها.

والحاصل في ذلك: أن الأسرار عند سيبويه هي العلل النحوية، وخير دليل على ذلك كثرة وجود لفظ (علة، وعلل) في كتابه والحديث عن العلل كان كثيرًا لكني ذكرت منه القليل؛ لكثرته وتشعبه.

مفهوم الأسرار عند المبرد في كتابه (المقتضب)، (ت285هـ):

لم يذكر المبرد مصطلح (الأسرار)، لكن تبيّن من كثرة تعليلاته أنه يقصد بالعلل: أسرار العربية وقواعدها، ولكن نتساءل لمَ لم يستعمل النحويون مصطلح (الأسرار) في تلك المرحلة المبكرة؟، فهل من المعقول أن العرب لا تعرف أسرار

لغتها؟، والجواب: كلا؛ لأن العرب هم أكثر معرفة بأسرار لغتهم ،وبيان قواعدها وإعرابها.

ونتساءل لمَ لم يكن شائعًا مصطلح (الأسرار) عندهم، على الرغم من أنهم يعرفون أسرارها ويسمونها بـ (سنن وخصائص وعجائب) وغيرها، والمبرد نفسه يذكر لفظ (السنن) ويقصد بها أسرار اللغة وقواعدها.قال المبرد: "إن هذه الحروف بعضها يقع على سنن بعض وبعضها ينحرف عن ذلك السنن".[25]فالفعل ينقضي كالزمان ؛لأن الزمان مرور الأيام والليالي، فالفعل على سننه يمضي بمضيه وليست الأمكنة.[26]

وقد باتت العلة عند المبرد رديف الحكم النحوي؛لأنه شديد الاهتمام بالتعليل، ويتخذه سلاحًا للمناقشة، ويحاول دائمًا أن يسند آراءه بالعلل، فلا بد لكل رأي علة.[27]

وقد ذكر كثيرًا من العلل منها، قوله: (اعلم أن الأسماء إذا كانت على أربعة أحرف أصلية أو فيها حرف مزيد فإن جمعها على مثال تصغيرها في الأصل ،فإن خرج من ذلك شيء فلعلة موجبة إذا جمعت اسمًا على مثال جعفر أو درهم او زلزل أو زخرف فإن تصغيره جعيفر ودريهم وزليزل وزخيرف).[28]

مفهوم الأسرار عند ابن السراج في كتابه (الأصول في النحو)، (ت٣١٦هـ):

أطلق ابن السراج على كتابه: (الأصول في النحو)، وأعلن فيه أسرار النحو وجمع ترتيبه وتعليمه للدارسين والباحثين والقيام بتحفيظه. وقد وجدت في كتاب ابن السراج كثيرا من العلل والتعليلات النحوية، ذكرتُ منها بعض المواضع.

وكان يقصد بالعلل: الأسرار، وهو لا يعدّ العلل النحوية أسرارًا وحسب، وإنما أعلن في كتابه أسرار النحو ،ووضّحها من خلال ترتيبه النحو وتعليمه وحفظه وتسهيله.

قال ابن السراج في وصف كتابه: "أعلنت في هذا الكتاب **أسرار** النحو وجمعته جمعًا يحصره وفصلته تفصيلًا يظهره ورتبت أنواعه وصنوفه على مراتبها بأخصر ما يمكن من القول وأبينه؛ ليسبق إلى القلوب فهمه، ويسهل على متعلميه حفظه".[29]

مفهوم الأسرار عند السهيلي في كتابه (نتائج الفكر في النحو)،(ت 581هـ):

يعد كتاب (نتائج الفكر في النحو) للسهيلي من الكتب النحوية القديمة التي ذكرت مصطلح (الأسرار) وكان يقصد بالأسرار النحوية: العلل والأسباب. وتُعرف الظواهر النحوية بوساطة كشف أسرارها.

وسنذكر الأسرار التي ذكرها السهيلي في مبحث (أسرار الأسماء) وهي كثيرة في كتابه. وعلى الرغم من أنه لم يذكر لفظ الأسرار في عنوانه، إلا أنه تحدث عن أسرار القواعد العربية. وعند اطلاعي على الكتب النحوية أجد (نتائج الفكر في النحو) من أكثر الكتب ذكرًا للأسرار، إضافة إلى كتاب (شرح ابن عقيل) فقد شمل كثيرًا من أسرار النحو وقواعده.

قال السهيلي: "جمعت نبذة من نتائج الفكر، معظمها من علل النحو اللطيفة، و**أسرار** هذه اللغة الشريفة." وقد كشفَ المؤلف عن أسرار العمل للأفعال وغيرها من الحروف في الأسماء، ونبه على امتناع الأسماء من أن تكون عوامل في غيرها.[30]

وقال أيضًا: "فتأمل هذه **الأسرار** بقلبك، وألحظها بعين فكرك، ولا يذهلنك نبو طباع أكثر الناس عنها، واشتغال العالمين بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها، فإني لم أفحص عن هذه الأسرار، وخفي التعليل في الظواهر والإضمار، إلا قصدًا للتفكر والاعتبار، في حكمة من خلق الإنسان وعلمه البيان، فإنه الخالق للعبارات، والمقدر للطائف والإشارات والأمر كله لله تعالى،، فاشكر الله تعالى وهاب النعم، وكاشف الأسرار وعالم الغيب وكل ما خفي عنك يعلمه الله".[31]

وجاء في كتابه: "وأما ما يختص بالخفض من المضمرات فلا يكون إلا متصلًا بما قبله؛لأن المخفوض كله نوع واحد ولا يكون إلا متصلًا بما قبله اتصال بعضه بالكل، وإنما قصدنا كشف **أسرار** الباب والتنبيه من واضع اللغة في تخصيص ألفاظ المضمرات بما اختصت به".[32]

مفهوم الأسرار عند عباس حسن في كتابه (النحو الوافي)، (ت 1398هـ):

ذكر لفظ (الأسرار) كثيرًا في كتابه(النحو الوافي) لا سيما ما يخص التضمين وأسراره، وسنذكره في مبحث أسرار الحروف، ويقصد المؤلف بلفظ (السرّ) أسرار العربية ودقائقها، ومعرفة العلماء بها، ويذكر أحيانًا اللفظ ، ويشير إليه لتوضيح أسرار المسألة النحوية، وإعطاء الجمل والأمثلة لتوضيح الأسرار.

قال عباس حسن في مقدمته: "وهذه العلوم النقلية – على عظيم شأنها- لا سبيل إلى استخلاص حقائقها،والنفاذ إلى**أسرارها**، بغير هذا العلم الخطير؛ فهل ندرك كلام الله تعالى،ونفهم دقائق التفسير".[33]

نخلص إلى أن الأستاذ عباس حسن كان من أكثر النحويين المعاصرين ذكرًا لمصطلح (الأسرار)، بمفهومه الذي ذكرناه في التمهيد، إذ كان يرى في النحو ومسائله أسرارًا خافية، حاول الكشف عنها في كتابه (النحو الوافي)، وهو أهم كتاب نحوي معاصر، فضلًا عن كتبه الأخرى.

ولا بد من أن نشير إلى إن هناك كثيرًا من الكتب النحوية ذكرت مصطلح الأسرار بعضها في العنوان وبعضها لم تذكره في العنوان، لكنّها تذكره في ثنايا الكتب، وقلّما تذكر أو توضح أسرار النحو، ومن هذه الكتب مثلًا: كتاب (التطبيق النحوي) فقد ذكر مؤلفه سرّ التعلق، جاء في كتابه أن التعلق عبارة عن ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدل عليه الفعل أو ما يشبهه، وإن هذا التعلق مهم في فهم تركيب الجملة العربية، والمتعلق ينبغي أن يكون مشتقًا بأمثلة تميط عنها غموضها حتى يستطيع الدارس استعمالها من تلقاء نفسه دون شعور بما يحيطها من أسرار مفتعلة.[34]

وقد وجدت أن أكثر الكتب التي تضمنت أسرار اللغة والنحو هي الكتب التي لم تذكر الأسرار في عناوينها، مثل: كتاب (نتائج الفكر في النحو) للسهيلي، وكتاب (شرح ابن عقيل) لابن مالك، وهناك كتب أخرى شملت أسرار العربية أيضًا، لكنها ذكرته قليلًا.

لذلك نوصي الباحثين أن ينصب تركيزهم على مصطلح الأسرار ويجعلوه في عناوين كتبهم؛ حتى يتبين للجميع معرفة أسرار، وإعجاز اللغة العربية الخالدة.

ونحن نريد أن نبين أن العربية فيها أسرار كثيرة سواء أن ذكرها النحويون والباحثون أم لم يذكروها؛ لأن اللغة العربية تحمل أسرارًا لا تحملها أي لغة من اللغات، وتتميز بخصائص

وميزات معينة، إذ لا تقوم على الوصف والملاحظة، وإنما على السبب والعلل وراء كل قاعدة نحوية وظاهرة لغوية.

فإن علماء النحو قد انصب اهتمامهم على العلل، فنراهم يذكرون لفظ العلل كثيرًا إن أرادوا معرفة السبب والسرّ في قواعدهم، ولكنهم نادرًا ما يذكرون لفظ السرّ.

وعند البحث عن مصطلح (الأسرار) عند علماء النحو القدامى، نجد صعوبة في ذلك ؛لأنهم ركزوا على العلل والتعليلات، وقد رأيت تعليلاتهم شائعة جدًا وكثيرة ومتشعبة، في حين نجد العكس عند المحدثين؛ لأنهم يرون أنه لا فائدة من ذكر العلة والسبب لكل حكم، ولا يدخلون في تعقيدات وجمود، ولكنهم لا ينكرون سرّ الحكم النحوي وكيفية كشفه، وكيف جاء، إلا إنهم يقللون من التفكير في وجود أسباب وعلل للقواعد النحوية، ولا يعتمدون على المنطق دائمًا، والمعروف أن المحدثين يميلون إلى الوصف والملاحظة والسهولة وتيسير النحو وخروجه من التعقيدات، نحو: الأستاذ عباس حسن والدكتور إبراهيم أنيس والدكتور تمام حسان، فالدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (من أسرار اللغة) نجده يذكر لفظ (الأسرار) كثيرًا ويقصد به سر العربية وقد بيّن كثيرًا من أسرارها، وهناك كثيرون لا يزالون يكتبون في أسرار اللغة العربية العرب وغيرهم؛ ذلك لأنهم عرفوا منزلة اللغة العربية، ووضحوا ذلك في كتبهم، حتى أصبحوا يعلموها لغير الناطقين بها، ويدرسونها في الجامعات غير العربية؛ لبيان أسرارها وعجائبها ودقائها.

وقد عرفوا فيما بعد أن اللغة العربية ليس كما تصوروها، وقالوا: بأنها لغة جامدة وميتة لن تستطيع مواكبة التطور اللغوي ولا تواكب العصر الذي نحن فيه، ولكنهم الآن جعلوها في عالم الحوسبة (عالم التكنولوجيا) الذي يواكب كل تطوراتنا.

وعلى الرغم من أننا لا نزال نعاني من وجود بعض الذين يريدون أن يمحو لغتنا ويحرفون الناس ويجذبوهم إلى التخلي عنها وتركها عن طريق الكلام والكتب ومواقع التواصل الاجتماعي، ولكنهم لن يستطيعوا أن يمحو ما أراد الله حفظه على مرّ الدهور والله المستعان على ما يصفون.

الخاتمة:

إن أكثر الكتب النحوية التي وظّفت مصطلح (الأسرار) في العنوان، والتي لم توظّف فيه ، لم تذكر أسرار العربية إلا قليلًا في كتبها، وأكثر النحويين القدامى درسوا العلل وتعليلات النحو أكثر من تركيزهم على أسرارها، وعلى الرغم من أنهم يذكرون اللفظ أحيانًا ويقصدون به السرّ وقد لا يقصدونه، إذ نلحظ بعضهم يقصدون بالعلل والسنن والأصول هي أسرار العربية، لكن أكثرهم درسوا العلة بإفراط، وهذا دليل على أنهم يعدّون الأسباب والتعليلات من أسرار العربية؛ لأن العلة والسبب تؤدي إلى ظهور السرّ المخفي، وأنا لا أرى هذا كافيًا؛ لأن من واجب النحويين أن يذكروا أسرار العربية ويشيعوها بين الناس؛ كي تُعرف أهمية وميزات اللغة العربية، لكننا لا ننكر وجود الأسرار عندهم ومعرفتهم لها، لكن نتساءل لمَ لم يكن هذا المصطلح شائعًا عند النحويين أكثر من مصطلح (الأسرار)؟.

لذلك نوصي الباحثين أن ينصب تركيزهم على مصطلح الأسرار، ويجعلوه في عناوين كتبهم؛ ليتبين للجميع معرفة أسرار وإعجاز اللغة العربية الخالدة.

وعند البحث عن كتب أسرار العربية وأسرار النحو نجدها كثيرة جدًا، لكن على الرغم من كثرتها فإن مؤلفيها يذكرون العلل والأسباب أكثر من تركيزهم على الأسرار، وقليل ما يذكرون الأسرار ويبينوها، وقد يجذبك عنوانها، وفي محتواها شيء مختلف.

وقد وجدت أن أكثر الكتب التي تضمّنت أسرار النحو هي الكتب التي لم تذكر الأسرار في عناوينها، نحو: كتاب (نتائج الفكر في النحو) للسهيلي، وكتاب (شرح ابن عقيل) لابن مالك، وهناك كتب أخرى تضمّنت أسرار العربية أيضًا، لكنها ذكرته قليلًا.

ونحن نريد أن نبين أن العربية فيها أسرار كثيرة سواء أذكرها النحويون والباحثون أم لم يذكروها؛ لأن اللغة العربية تحمل أسرارًا لا تحملها أي لغة من اللغات، وتتميز بخصائص وميزات معينة، إذ لا تقوم على الوصف والملاحظة، وإنما على السبب والعلل وراء كل قاعدة نحوية وظاهرة لغوية.

Conclusion:

Most of the grammatical books that used the term (secrets) in the title, which were not used in it, mentioned the secrets of Arabic only a little in their books, and most of the ancient Grammarians studied the ills and explanations of grammar more than they focused on its secrets, and although they sometimes mention the pronunciation and mean the secret and may not mean it, as we notice some of them the reason and the reason lead to the appearance of the hidden secret, and I do not see this as enough, because it is the duty of Grammarians to mention the secrets of Arabic and spread them among people, in order to know the importance and features of the language Arabic, but we do not deny the existence of secrets and their knowledge of them, but we wonder why this term was not more common among Grammarians than the term (secrets).

Therefore, we recommend that researchers focus on the term secrets, and make it in the titles of their books, so that everyone knows the secrets and miracles of the eternal Arabic language.

When searching for books about the secrets of Arabic and the secrets of grammar, we find a lot of them, but despite their abundance, their authors mention the reasons and reasons more than they focus on the secrets, and few of them mention the secrets and show them, and their title may attract you, and in their content something different.

I have found that the most books that included the secrets of grammar are the books that did not mention the secrets in their titles, such as: Kitab (results of thought in grammar) by Al-Sahili, and Kitab (commentary by Ibn Aqil) by ibn Malik, and there are other books that included the secrets of Arabic as well, but they mentioned it a little.

We want to show that Arabic has many secrets, whether grammarians and researchers mention them or not, because the Arabic language carries secrets that no language carries, and it is characterized by certain characteristics and features, as it is not based on description and observation, but on the cause and causes behind each grammatical rule and linguistic phenomenon.

الهوامش :

[1] ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، (1424هـ - 2003م)، ت (170ه)، 2/ 235- 237

[2] تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ، دار الحديث-القاهرة، ت (398هـ)،532

[3] المخترع في إذاعة سرائر النحو، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمريّ، دار كنوز إشبيليا، ط1، (1427هـ - 2006م)، ت 476هـ، 5، وينظر:العلة النحوية في كتب أسرار النحو- دراسة في المفهوم والمنهج، جاسم صادق غالب، كلية الآداب – جامعة البصرة،6، 7

[4] ينظر: أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ، أبو البركات، كمال الدين الأنباريّ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ت (577هـ)، تحقيق محمد بهجت الطيار، 3، 4

[5] ينظر: العلة النحوية في كتب أسرار النحو دراسة في المفهوم والمنهج، **6**

[6] ينظر: التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية (العلة النحوية عند ابن جني أنموذجًا)، آمال جلال عبد الرحمن حسن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر – فرع البنات بالقاهرة، 1065

[7] ينظر: العلل النحوية، حيدر فرحان عبد، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية– كلية التربية، العدد الرابع، 2009م،143

[8] ينظر: محاضرات في أصول النحو، طبطوب بوزيد، جامعة محمد لمين دباغين– سطيف، كلية الآداب واللغات– الجزائر، (2015 – 2016)، 59

[9] ينظر: العلل النحوية، 143

[10] ينظر: أثر الاقتراض اللغوي في اللغة العربية الحديثة، صافية زفنكي، المركز الديمقراطي العربي، برلين – ألمانيا، ط 1، 2021م،85

[11] ينظر: دراسات نحوية، حسن منديل حسن العكيليّ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2012م، 33، 34

[12] ينظر: النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط 1، (1420هـ - 2000م)، 191، 192

[13] ينظر: العلة النحوية عند علماء العربية، 651

[14] المصدر نفسه، 1065

[15] إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 22

[16] ينظر: المصدر نفسه، 30

[17] دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، ط 1، (1379هـ - 1960م)، ت 1407هـ، 1/ 118

[18] ينظر: إحياء النحو، 52

[19] ا العلة النحوية عند علماء العربية، 664، 665

[20] الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط 3، (1408هـ - 1988م)، ت 180هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، 3/ 53

[21] ينظر:الكتاب، 3/ 414، 415

[22] المصدر نفسه، 3/ 605

[23] المصدر نفسه، 3/ 580

[24] ينظر: المصدر نفسه، 4/ 421

[25] المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثماليّ الأزديّ، أبو العباس، المعروف بالمبرد، عالم الكتب– بيروت، ت 285هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، 1/ 220

[26] المصدر نفسه، 1/ 275

[27] ينظر: أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، محمد سالم صالح، دار السلام، 73

[28] ينظر: المقتضب، 118/1

[29] الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السريّ بن سهل النحويّ المعروف بابن السراج، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ت316هـ، تحقيق عبد الحسين الفتليّ، 1/ 22

[30] ينظر: نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيليّ، دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1، (1412هـ -1992م)، ت 581هـ، 1/ 65

[31] ينظر: نتائج الفكر في النحو، 1/ 176، 177

[32] ينظر: المصدر نفسه، 1/ 171

[33] النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 15، ت 1398هـ، 1/1

[34] التطبيق النحوي، عبده الراجحيّ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، (1420هـ - 1999م)، 358/1، 359

المصادر والمراجع:

1. أثر الاقتراض اللغوي في اللغة العربية الحديثة، صافية زفنكي، المركز الديمقراطي العربي، برلين – ألمانيا، ط 1، 2021م.
2. إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
3. أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ، أبو البركات، كمال الدين الأنباريّ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ت (577هـ)، تحقيق محمد بهجت الطيار.
4. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السريّ بن سهل النحويّ المعروف بابن السراج، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، ت316هـ، تحقيق عبد الحسين الفتليّ.
5. أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، محمد سالم صالح، دار السلام.
6. تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ، دار الحديث-القاهرة، ت (398هـ).
7. التطبيق النحوي، عبده الراجحيّ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، (1420هـ - 1999م.
8. التعليل مظهر من مظاهر الإبداع في العربية (العلة النحوية عند ابن جني أنموذجًا)، آمال جلال عبد الرحمن حسن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر – فرع البنات بالقاهرة.
1. دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، ط 1، (1379هـ - 1960م)، ت 1407هـ.
2. دراسات نحوية، حسن منديل حسن العكيليّ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2012م.
3. العلة النحوية عند علماء العربية، محمود كريم جاسم اللوخان، مجلة العلوم الإسلامية، العدد 18، 2018م.
4. العلة النحوية في كتب أسرار النحو- دراسة في المفهوم والمنهج، جاسم صادق غالب، كلية الآداب – جامعة البصرة.
5. العلل النحوية، حيدر فرحان عبد، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية– كلية التربية، العدد الرابع، 2009م.
6. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثيّ بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ط 3، (1408هـ - 1988م)، ت 180هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون.

7. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، (1424هـ - 2003م)، ت (170ه).
8. محاضرات في أصول النحو، طبطوب بوزيد، جامعة محمد لمين دباغين– سطيف، كلية الآداب واللغات– الجزائر، (2015 – 2016).
9. المخترع في إذاعة سرائر النحو، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمريّ، دار كنوز إشبيليا، ط1، (1427هـ - 2006م)، ت 476هـ.
10. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثماليّ الأزديّ، أبو العباس، المعروف بالمبرد، عالم الكتب– بيروت، ت 285هـ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة.
11. نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيليّ، دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1، (1412هـ -1992م)، ت 581هـ.
12. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط 15، ت 1398هـ.
13. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط 1، (1420هـ - 2000م).

Sources and references:

1. The impact of linguistic borrowing in modern Arabic, Safia zvenki, Arab Democratic Center, Berlin-Germany, Vol.1, 2021.
2. Reviving grammar, Ibrahim Mustafa, Hindawi foundation for education and culture.
3. Asrar Al-Arabiya, Abdul Rahman Bin Muhammad Bin Ubayd Allah al-Ansari, Abu al-Barakat, Kamal al-Din al-Anbari, publications of the Arab scientific complex in Damascus, d. (577 Ah), investigation of Muhammad Bahjat Al-Tayar.
4. Origins in grammar, Abu Bakr Muhammad ibn al-Sari Ibn Sahl al-nahawi, known as Ibn al-Sarraj, Al-Risala Foundation, Lebanon-Beirut, d316h, investigation by Abdul Hussein al-fatli.
5. The origins of grammar are a study in the thought of Anbari, Mohammed Salem Saleh, Dar es Salaam.
6. Taj language and Arabic Sahih, Abu Nasr Ismail bin Hamad Al-Gohari, Dar Al-Hadith-Cairo, d. (398 Ah).
7. Grammar application, Abdo Al-Rajhi, knowledge library for publication and distribution, Vol. 1, (1420 Ah - 1999 ad.
8. Reasoning is a manifestation of creativity in Arabic (the grammatical vowel of Ibn Jeni is a model), Amal Jalal Abdel Rahman Hassan, Faculty of Islamic and Arabic studies, Al – Azhar university-girls branch in Cairo.
1. Studies in philology, Sobhi Ibrahim Al - Saleh, House of Science for millions, Vol.1, (1379 Ah-1960 Ad), t. 1407 Ah.
2. Grammatical studies, Hassan mandeel Hassan al-Akili, House of scientific books, Beirut-Lebanon, Vol. 1, 2012.

3. The grammatical vowel in Arabic scholars, Mahmoud Karim Jassim Al-Lukhan, Journal of Islamic sciences, issue 18, 2018.
4. The grammatical error in the books of the secrets of grammar - a study in the concept and method, Jassim Sadiq Ghalib, Faculty of Arts – University of Basra.
5. Grammatical ills, Haider Farhan Abdul, Journal of the Faculty of Education, Mustansiriya University-Faculty of Education, fourth issue, 2009.
6. The book, Amr bin Othman bin Qanbar Al-Harthi by allegiance, Abu Bishr, nicknamed Sibuye, Al-Khanji library, Cairo, I, 3, (1408 Ah - 1988 AD), D. 180 Ah, investigation of Abdus Salam Muhammad Harun.
7. Al-Ain Book, al-Khalil bin Ahmed al-Farahidi, House of scientific books, Beirut-Lebanon, Vol. 1 (1424 Ah - 2003 ad), Vol.170 Ah.
8. Lectures on the origins of grammar, tabtoub Bouzid, Mohamed Lamine dabagine University-Setif, Faculty of Arts and languages-Algeria, (2015-2016).
9. The inventor in the broadcasting of the beds of grammar, Abu Al-Hajjaj Yusuf bin Suleiman Al-Alam Al-shentamri, the House of treasures of Seville, Vol. 1, (1427 Ah - 2006 ad), Vol.476 Ah.
10. Muhammad ibn Yazid ibn Abd al-Akbar Al-thumali Al-azdi, Abu al-Abbas, known as the cooler, the world of books-Beirut, d. 285 ah, the investigation of Muhammad Abd al-Khaliq is great.
11. The results of thought in grammar, Abu Al-Qasim Abdul Rahman bin Abdullah bin Ahmed Al-Suhaili, House of scientific books-Beirut, Vol. 1, (1412h -1992g), d.581h.
12. Full grammar, Abbas Hassan, Dar Al-Maarif, 15th floor, t 1398 Ah.
13. Grammar and semantics an introduction to the study of grammatical and semantic meaning, Mohammed hamasa Abdullatif, Dar Al-Shorouk, Vol.1, (1420 Ah - 2000 AD).